Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

Inqādz al-Naz'ah al-Insāniyyah fī al-Khitāb al-Kalāmi al-Jadīd: Qirā'ah fī Shūrat al-Insāniyyah al-Imāniyyah wa al-Akhlāqiyyah fī Fikr 'Abd al-Jabbār Rifā'i

إنقاذ النزعة الإنسانية في الخطاب الكلامي الجديد قراءة في صورة الإنسانية الإيمانية والأخلاقية في فكر عبد الجبار الرفاعي[1]

Ahmad Lukman Fahmi
Université Ez-Zitouna, Tunisie, 21, rue Sidi Aboulkacem El-Jelizi Place du Leader, 1008 Tunis
E-mail: ahmadlukmanfahmi@gmail.com

Safia Menad
Université Oran 2, Algérie, B.P 1015 El M'naouer 31000 Oran - Algérie
E-mail: safiamenad95@gmail.com

ABSTRACT

This article examines the issue of humanism in the new *kalām* discourse, which has been discussed by 'Abd Al-Jabbar Al-Rifai in most of his writings, he has started from a critical review of the *kalām-tauhidī* paradigm that affects the production of religious knowledge and is only oriented towards proving and defending religious beliefs. This article shows that the orientation of the new *kalām* is to reveal the beauty of religion and highlight its human values. The meaning of humanism that al-Rifai has discussed, which he calls faith-based humanism, is different from the concept of humanism developed in the Western context. This article aims to present and discuss the issue of humanist values in the new *kalām* discourse, especially from the perspective of al-Rifai as its most important theorist. The research has used an analytical descriptive approach, collecting data and information obtained from Al-Rifai's books related to the subject matter. This article has reached several

[1] _* عبد الجبار الرفاعي ::مفكر عراقي معاصر من مواليد 1954 العراق ،دكتواره فلسفة اسلامية 2005،ماجستير علم كلام 1990،بكالوريوس،دراسات اسلامية 1988،انخرط في دراسة العلوم الاسلامية في الحوزة العلمية في النجف الاشرف سنة 1978،تتلمذ في المنطق والنحو والصرف والبلاغة والفقه واصول الفقه ،اصدر مجلة قضايا اسلامية بالتعاون مع الشهيد العلامة مهدي العطار وراس تحريرها للسنوات 1998،1994،اصدر مجلة قضايا اسلامية معاصر ة سنة 1997،ويراس تحريرها وهي مازالت تصدر في بيروت صدر منها خمسة وستون عددا،أصدر سلسلة كتاب قضايا اسلامية ماصرة ،واصدر سلسلة كتاب فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد واصدر سلسلة كتاب ثقافة التسامح الدورية في بغداد أصدر سلسلة كتاب فلسفة وتصوف في بيروت واصدر سلسلة كتاب تحديث التفكير الديني في بيروت 2013،صدر له مناهج التجديد 2000،وعلم الكلام الجديد وفلسفة الدين 2002،الاجتهادج الكلامي:مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد 2002،انقاد النزعة الانسانية في الدين 2012،تمهيد لدراسة فلسفة الدين2014،الدين واسئلة الحداثة 2015،الايمان والتجربة الدينية 2015 ،الدين والظما الانطولوجي،2015،الحب والايمان عند سورن كيرككورد2015،علم الكلام الجديد :مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين2016

conclusions, the most important of which are, first, that the relationship between humans and their God in classical *kalām* discourse is based on fear and slave psychology, according to Al-Rifai this kind of relationship can lead to what he calls the theology of slavery, he then tries to present a new relationship based on a concept where human attitudes are more positive interactions based on love.. Secondly, an important methodology in uncovering humanist values from religious texts according to Al-Rifai will not succeed except by critically reviewing the history of religious thought, reading critical analysis of religious texts, and presenting *turāts* from different perspectives and visions, such as reading and re-understanding the names and attributes of God, not in the traditional way, but in a humanitarian-oriented way

.

Keywords: humanism, new *kalam*, faith-based humanism, ‘abd al-jabbar al-rifai, rational thinking.

الملخص

يتناول هذا البحث معضلة الإنسانية في الخطاب الكلامي الجديد الذي ناقشها عبد الجبار الرفاعي في معظم مؤلفاته، حيث ينطلق من مراجعة نقدية لرؤية توحيدية كلامية المولّدة للمعرفة الدينية، المهتمة بإثبات المعتقدات الدينية وإبطال الآراء المعارضة. يشير البحث إلى أن مهام الكلام الجديد هو التعبير الجمالي عن الدين وإبراز القيم الإنسانية منه. يختلف معنى الإنسانية التي تحدث عنها الرفاعي والذي أشار إليها بالإنسانية الإيمانية عن مفهوم الإنسانية المتداول في السياق الغربي. يهدف هذا البحث إلى عرض ومناقشة قضية القيم الإنسانية في الخطاب الكلامي الجديد لا سيما من منظور الرفاعي باعتباره أهم منظّريه. يتخذ البحث منهج الوصفي التحليلي ويستند في جمع البيانات والمعلومات إلى مؤلفات الرفاعي المتعلقة بالموضوع. قد توصل البحث إلى عدة النتائج، أهمها *أولا* أن العلاقة بين الإنسان بربه في الخطاب الكلامي الكلاسيكي قامت على أساس الخوف وسيكولوجية العبيد، وهذه العلاقة عند الرفاعي تؤدي إلى ما سماه بلاهوت الاسترقاق، ثم يحاول تبنى العلاقة الجديدة القائمة على مفهوم يكون فيها موقف الإنسان متفاعلا إيجابيا، وأن جوهر الصلة بين الإنسان والله عنده هو الحب المتبادَل. *ثانيا* أن المنهجية المهمة في الكشف عن القيم الإنسانية من النصوص الدينية عند الرفاعي لن تتم إلا بعد مراجعة نقدية للتاريخ وقراءة تحليلية نقدية للنصوص وتقديماً للموروث من منظور ورؤية مختلفة، وهو من خلال إعادة قراءة أسماء الله تعالى وصفاته، وهذه القراءة ليست القراءة التقليدية، ولكنها القراءة ذات الطابع الإنساني.

الكلمات المفتاحية: النزعة الإنسانية، علم الكلام الجديد، الإنسانية الإيمانية، عبد الجبار الرفاعي، التفكير العقلاني

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

مقدمة

تختلف المواضيع والمسائل والقضايا التي يعالجها الفكر المعاصر مع النظر في أساسياتها في المتون الكلاسيكية، ضمن مشروع التحديثي للإلهيات التي تسعى جهود الاجتهاد والتجديد اليوم والتفكير فيه وتحقيقه بالبحث في مواضيع التي لها علاقة بالإنسان، فبدل البحث في ارضية السماء يتجه الفكر إلى أرضية الانسان بدل الإلهية فتتحقق مشروعية التفكير من السفلي إلى العلوي ليتحقق إيمان دون صراطيات ودوغمائيات؛ من بين المواضيع المعاصرة التي يهتم لها الفكر الإسلامي هي الدولة المدنية، علمية العلوم وعمليتها، التفكير الحر، النزعة الإنسانية، التدين والتجربة الايمانية، الروحانية الانسانية، الوجودية، القيم التشاركية، التعايش والتعددية، التسامح، التفكير العقلاني، الخروج من سلطة النص نحو التجربة الإيمانية الإنسانية.

وفي المجال العربي المعاصر يتماثل لنا المفكرين المعاصرين باتجاهات فكرية مختلفة ومتنوعة ذات أوجه مغايرة للمجال الكلاسيكي إذ أنّها نابعة منه ومن منهجه، فالروحاني دائما اقترن بالديني وبمظاهر التدين وهو طرح كلاسيكي تاريخي وحتى اركيولوجي، فالديني متنوع بين النص كعقيدة تحمل تعاليم وأحكام، وفي الأصل العقيدة تسمو الى الإخاء والتعايش والحب لهذا نجد في كل الآيات التأسيسية للقرآن تأخذ بمعنى الروحانية الإنسانية فهذا المصطلح الأخير لا يعد قطع العلاقة بين الروحاني والديني وإنما إيجاد علاقات من خلال التصور الإنساني فاللا دينين لديهم أيضا ما يسمى بالروحانية يلزم شرط الإنسانية، فتخرج بذلك الروحانية من إطار الديني الى إطار الإنساني والاجتماعي والأخلاقي لتؤسس لنا فهما يحقق عالم إخاء وتعايش وجودي وقيمة معرفية، وهو ما نجده في التصوف الإسلامي أو المسيحي برئاسة الفلسفة الروحانية وأنسنة الدين وتأثيرها على حياة الإنسان كما يوجد فلسفة روحانية بدون تدين التي تعني البحث عن معنى الوجود وقيمة الحياة في العالم المادي.

ومما لا يمكن تجاهله أن دين الإسلام هو أحد أهم منابع الإلهام لقيم المحبة والتراحم والتعاطف والشفقة واحترام كرامة الكائن البشري وغيره من القيم الإنسانية، ولكن ما يبدو في القطاع العام هو غلبة نشوء الخطابات العدوانية العاصفة والمفاهيم المشوهة التي تثير التعصبات والكراهيات، وما يستتبعها من انقسامات وحروب مزمنة. وإنّ مثل هذه الخطابات هي التي تُشوّه صورة الدين الحنيف الحافل بالقيم الإنسانية. ولذا، من الضروري بهذا المنظور بناء فهم آخر للدين وتفسير مختلف للنصوص الدينية غير التفسير التقليدي، وإنما التفسير الذي يسعى إلى اكتشاف وظيفة الدين في إنتاج المعنى وإبراز القيم الإنسانية.

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

في مثل هذا السياق تدرك أهمية مقاربة عبد الجبار الرفاعي في مسألة النزعة الإنسانية في الدين وفي علم الكلام تحديداً، وهو مفكر عراقي وأستاذ فلسفة إسلامية، من مواليد العراق سنة 1954، تحصل على عدة شهادات أكاديمية منها دكتوراه في فلسفة إسلامية سنة 2005. وله رؤية فلسفية حول الإصلاح ومناهج التفكير الديني، اعترافًا بالمهمة التي نهضت بها مجلةُ قضايا إسلامية معاصرة التي أسسها ويرأس تحريرها في بناء مشروع علم الكلام الجديد وفلسفة الدين باللغة العربية، وبوصفها الدوريةَ الأهمّ المتخصصة في الأديان بالعربية خصّص المعهد البابوي في روما التابع للفاتيكان كتابَه السنوي سنة 2012 لهذه المجلة. هي مجلة فكرية فصلية تهتم ببناء فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد منذ ربع قرن تقريبًا، وما زالت تصدر حتى اليوم. وينطلق الرفاعي من مراجعة البنية التحتية وهي رؤية توحيدية كلامية المولدة للمعرفة الدينية مراجعة نقدية، لأنّه لا يمكن بناء تفسير جديد للدين من دون مراجعة تلك الرؤية.

هذا المفكر اولى اهمية كبرى لمهمة المفكر المعاصر فلا يمكن تحقيقها إلا بدحض العقل الصراطي الذي لايزال يتعامل بقداسة وعاطفية، إنّ التفكير في إحياء نزعة التفكير الحر، والعمل على اختراق الأسيجة التي تم وضعها حول العقل أتباع الظاهري والسلفيون، حتى دراسة ومناقشة بعض القضايا الكلامية اللاهوتية في الإسلام من المحرمات اليوم في حين يتداولها المتكلمون بالأمس دون أية قيود أو ممنوعات عقلية (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2016, p. 55)، أكد الرفاعي في مشروعه الفكري على أهمية دراسة التاريخ الاسلامي وظيفيا واخراج منه المنهج والطريقةوتحيينها مع المناهج المعاصرة والدرات والقضايا التي تخص الانسان حديثا وظيفيا ومجتمعيا وفكريا (الشق العلمي والعملي) فمحاولة الرفاعي الحفر في قضايا الانانية ومعالجتها مثل مبحث الاخلاق والقيم ومكانة الانسية في التفكير الاسلامي المعاصر دون دوغمائيات وتعصب وحواجز عقائدية ، يريد ويكد الرفاعي على ضرورة اخراج الانسان من دائرة الفكر المغلق الى فكر عملي وعلمي يربطه بالواقع وبالنص قيميا ليدرك اهمية العقل البشري في التحرر من كل القيود التراكمية التي حملها على التاريخ . فأكد الرفاعي على ضرورة دراسة كل النصوص والمواد الاسلامية بطريقة ممنهجة ووظيفية وامزاجها بالمناهج المعاصرة مثل الفينومينولوجيا والاستفادة منها بتأسيس منهاج فلسفي يعمد الى تحليل الخبرة الحياة المعيشة في الواقع وهندستها معرفيا .

النزعة الإنسانية بين السياق الغربي والسياق العربي

تعددت معاني ودلالات مصطلح النزعة الإنسانية أو الإنسانية أو نزعة الأنسنة أو الأنسنة[2] وهذا ما جعل المصطلح غامض المعنى، ولا جدال أنه ذو منشاء

[2] هذه هي الترجمات المتداولة في الوسط الغربي لكلمة Humanism

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

أوروبي، حيث تشير البذرة الأولى لنشأته على يدي المؤرخ الألماني وعالم اللغة جورج فويت[3] (Georg Voigt) (ت: 1891) في العام 1856 الذي استخدمها لوصف الحركة التي ازدهرت لإحياء التعليم الكلاسيكي أثناء فترة عصر النهضة الإيطالية(Anwar Mughith, Hassanein Kishk, Ali Mabrouk, n.d.; Mahdi, n.d.). ثم من خلال الثورة الفرنسية وبعدها بقليل في ألمانيا بفضل الهيجليين اليساريين[4] (Left Hegelians) بدأ بأن يشير الى الفلسفات والأخلاق التي ترتبط بالإنسان ذو الاهتمام بأية مفاهيم إلهية، ومع بداية الحركة الأخلاقية في ثلاثينات القرن العشرين أصبح مرتبطا بنحو متزايد مع الفلسفة الطبيعية[5] ومع العلمانية[6].

وينبغي أن نشير في سياق تأصيل هذا المصطلح في الثقافة الغربية، أنه لم يظهر في الثقافة الغربية حسب ما تذكره الموسوعات والقواميس المختصة إلا في القرن التاسع عشر وبالتحديد في العام 1808 حين استعملها احد علماء التربية الألمان نيتهامر F.I.Niethammer (ت: 1848)، وكان المعني منها هو الدلالة على نظام تعليمي وتربوي جديد يقترحه ويهدف منه إلى تكوين الناشئة عن طريق الثقافة والآداب الكلاسيكية، وبالأخص منها الآداب اللاتينية والإغريقية وذلك لغاية تلقينها مثلا اعلى من السلوك والمعرفة، الذي من شأنه إن يعلي قيمة الإنسان ومكانته(Al-Dawai, 1992, p. 189).

وكان مشروع الإنسانية فيها موجًها للتحرر من اسر عالم العصور الوسطى وقيوده وخرافاته، دفاعا عن حق الإنسان في ان يمتلك الحرية لتحديد مشروع حياته بطريقة مستقلة، ذلك أن الدين المسيحي -إبان العصور الوسطى- غرس في العقول جميعا نزعة زهدية، تميل إلى اعتبار إنكار الذات مثلا أعلى، وكانت الكنيسة والنظام الامبراطوري والاقطاع يتبنون نظرة للبناء الكوني يستتبعها نظام من القيم

---

[3] . هو مؤرخ ألماني وُلد عام 1827 في كونيغسبرغ (Königsberg) في بروسيا الشرقية (East Prussia). توفي في لايبزيغ (Leipzig) في عام 1891. كان بحثه في موضوعات الإنسانية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وتاريخ حرب شمال كالديك (Schmalkaldic War)، حيث كتب كتابا مهما بعنوان : "*Wiederbelebung des classischen Alterthums oder das erste Jahrhundert des Humanismus*". (إحياء انسانية العصور القديمة الكلاسيكية أو القرن الأول) استخدم فويغ مصطلح "الإنسانية" لوصف فترة تاريخية معينة. (انظر: https://www.revolvy.com/page/Georg-Voigt)

[4]. أو الهيجليين الشباب (Young Hegelians) هم اتباع الفيلسوف الألماني الشهير غيورغ فيلهلم فريدريش هيغل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel)، وبعد موته سينقسم اتباعه إلى فئتين، هيجلي اليسار: مثل كارل ماركس (Karl Marx) وفيورباخ (Feuerbach) وهم من سينتقد تصورات هيجل المثالية وينحون بفلسفته منحا ماديا تماما كما قلب ماركس الجدلية المثالية (The Ideal Dialectic) إلى جدلية مادية (Dialectical Materialism) أما الهيجليون اليمين فابقوا على الكثير من افكار هيجل المثالية. (انظر: https://www.marxists.org/glossary/orgs/y/o.htm

[5] . يعني التأمل النظري ابتداء من المعرفة العلمية إلى الرؤية الكونية، أي الكسمولوجيا، أي الميتافيزيقا. في بداية القرن العشرين أدخل فلهم أوزفلد تعديلا على المصطلح فأصبح معناه فلسفة العلم. (Wahba, 2010, p. 473)

[6] . اتسع استخدام هذا اللفظ عندما استقل الامبراطور عن بابا روما، وتجسد الانفصال بين ما هو روحاني وما هو علماني في مؤسسات فانتقلت بعض المسؤوليات من السلطة والكنيسة إلى السلطة السياسية، وسمي هذا الانتقال بالعلمانية.(Wahba, 2010)

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

والمعتقدات، العادات والسلوكيات، يتوجب على الجميع أتباعها (Anwar Mughith, Hassanein Kishk, Ali Mabrouk, n.d., pp. 18–19).

بينما الحديث عن النزعة الإنسانية ورد في الكتابات والدراسات الإسلامية متأخراً بالنسبة لبداية ظهورها في السياق الأوروبي الغربي، وتلك الكتابات والدراسات تعد قليلة ومحدودة جدا بالنسبة لغيرها من الموضوعات الفكرية الأخرى. وقد لاحظ ذلك محمد أركون (ت: 2010م) حيث إن النقص في كتابات ودراسات النزعة الإنسانية في الفكر العربي الإسلامي، يشمل حتى الكتب العلمية والاستشراقية المختصة في ذلك الموضوع(Arkoun, 1997, p. 6). ولا يعني ذلك أن معضلة النزعة الإنسانية هي تختص بحضارة معينة، أو أنها من صنع ثقافة محددة دون غيرها، أو أنها من ابتكار أصحاب الديانات المحددة، بما أن مفهوم النزعة الإنسانية ليست من احتكار حضارة وثقافة وديانة معينة، بل تم تطورها وتبلورها عبر مسيرة تاريخ البشر المسيجة. ومع ذلك، حاول عدد كبير من المفكرين المسلمين توضيح القيم الإنسانية وإبرازها من التراث الإسلامي وتحديد مواقفهم المختلفة، ويمكن حصرها إلى ثلاثة صور من الكتابات التي تناولت مسألة النزعة الإنسانية في السياق الإسلامي:

1. الكتابات والدراسات القائمة على موقف الرد على دعاوى أن النزعة الإنسانية هي من ابتكار الثقافة والحضارة الأوروبية وحدها، والقول بعدم امكانية غيرها من الثقافات والحضارات في ابتكار شيء مثل ما ابتكرته وصنعته الثقافة والحضارة الأوروبية. ونجد في مثل هذا النمط في كتيب على شريعتي (ت: 1397ه/1977م) *الإنسان في الإسلام*، وأصله نص المحاضرة التي ألقي في إحدى دورات، فتم نشره فيما بعد.
2. الكتابات والدراسات المنطلقة من جانب الاعتماد على مفهوم النزعة الإنسانية المحددة في النسق الفكر الأوروبي، بمعنى أنه محاولة إسقاط ذلك المفهوم الأوروبي في السياق الإسلامي المغاير له. يمكن أن نجد في مثل هذا النمط في عمل محمد أركون في كتابه *نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي*، الذي حاول إلى كشف النزعة الإنسانية في الثقافة الإسلامية القديمة المستلهمة من التراث الفلسفي اليوناني مشابهة لتلك النزعة التي ظهرت في الفكر الأوروبي خلال عصر النهضة في القرن السادس عشر، وذلك في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي وهو جيل مسكويه والتوحيدي(Al-Milad, 2013, p. 47).
3. الكتابات والدراسات المكشفة عن مفهوم النزعة الإنسانية الأصيلة وتجلياتها في داخل التعاليم الإسلامية، وهي ليست النزعة الإنسانية كما فهمتها الثقافة الأوروبية بالضبط وإن لم تختلف معها تماماً، خاصة فيما يتعلق بقيم إنسانية بما فيها من تحقيق كرامة الإنسان، وإعمال العقل، وتكريم منزلة الإنسان،

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

وما إلى ذلك. نجد مثل هذا النمط في كتاب مصطفى السباعي (ت: 1964 م) *من روائع حضارتنا* الذي وصل السباعي إلى نتيجة أن النزعة الإنسانية هي الخاصية الثانية من خصائص دين الإسلام بعد الربانية، وتبدوا جليا هذه الخاصية في أبواب التشريعات الإسلامية على صعيدي العبادات والمعاملات(Al-Milad, 2013).

وبعد النظر إلى كل الكتابات والدراسات المتعلقة بموضوع النزعة الإنسانية، لم توجد أية كتابات ودراسات التي تختص بتناول النزعة الإنسانية في مجال علم الكلام الجديد، أي التي تربط النزعة الإنسانية كموضوع علم الكلام الجديد، إلا ما كتبه الرفاعي في مؤلفاته منها *الدين والنزعة الإنسانية*، *الدين الظمأ الأنطولوجي*، *الدين والاغتراب الميتافيزيقي*.

المهام الإنساني في الخطاب الكلامي الجديد عند الرفاعي

إن هوية علم الكلام في السياق الكلاسيكي تتمثل على إثنين إجمالاً، الأولى التحصيلية الإيجابية تعني محاولة تحصيل المعرفة بعبارة أخرى أن غايته في إنتاج المعرفة وحصولها، أما الثانية الدفاعية السلبية هي محاولة الجدل للدفاع عما حصله من المعرفة الاعتقادية ضد المعارضين والمخالفين، ويدرك كل ذلك من خلال تعاريفه المتعددة، عرف عبد الرحمن ابن خلدون (ت: 808 ه/1406 م) علم الكلام بأنه "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة"(Khaldun, 1989, p. 405)، بينما عبد الرزاق اللاهيجي (ت: 1072 ه/1641 م) أتى بتعريف أدق يشير ذلك ويقول " الأولى أن يقال: الكلام صناعة نظرية يقتدر بها على إثبات العقائد الدينية" ويقول إضافة إلى ذلك "وهذا القسم من الكلام، يعني تحصيل المعارف بالدليل منتهية إلى قول المعصوم. كلام موصل إلى الصواب، وهو مشترك مع نهج الفلسفة في إفادة اليقين "(Al-Lāhiji, n.d., p. 57).

وصل علم الكلام إلينا على الصورة المدرسية بدأت في التكون لما توقف هذا العلم عن النمو بعد القرن الرابع، فحينئذ أخذت القضايا الكلامية بالتقرير والترتيب وفق تصور عقلي لمنطقية مجردة في الترابط بينها، فنسق علم الكلام على الوضع الذي دون به في كتب ما بعد القرن الخامس، وجردت مسائله من ملابسات الواقعية المتمثلة في النوازل والأحداث التي منها كان ظهورها، وحررت بأسلوب تقريري جاف لا أثر فيه للسياق الواقعي الذي نشأت فيه(Al-Najjār, n.d.). قبل ذلك التاريخ فإن علم الكلام منذ نشأته لم يكن على هذه الصورة، بل كان حركة نشيطة من الحوار والتدافع بين العقيدة الإسلامية في مصادرها النصية من جهة وبين ما جرى في واقع المسلمين من توترات بين المثال الإسلامي وبين مجريات

الأحداث السياسية والاجتماعية، وما هجوم من مقولات الأديان والثقافات القديمة من جهة أخرى.

بينما الكلام الجديد عند الرفاعي خلافاً للكلام الكلاسيكي، ليس علماً يهتم بإثبات تعاليم المعتقدات الدينية وإبطال الآراء المعارضة، كما أن تحصيل المعرفة بعالم الوجود عن طريق الوحي لم يعد من أهداف الكلام الجديد، وإنما هو علم يهتم بتبيين الإيمان الذي ظهر مع نبي الإسلام(Qaramliky, 2002, p. 135). ويسعى علم الكلام الجديد إلى التعبير الجمالي عن الدين، وإبراز القيم الإنسانية منه، لأنه ضرورة يفرضها إحياء رسالة الدين في عصر يتفشى قبح التعبير الكراهي للدين، وكذلك يعمل أيضا على تحرير النصوص الدينية من التفسير التعسفي والسطحي الذي لا يمحق جمالة الدين(Qaramliky, 2002). وربط عبد الجبار الرفاعي علمَ الكلام الجديد بضرورة مراعاة القيم الإنسانية بما فيها من الحرية والعقلانية والتراحم والمحبة، بمعنى أن تجديد علم الكلام يرتبط ارتباطا وثيقا بإنقاذ النزعة الإنسانية. ذلك لأن علم الكلام كعلم أصولي في الإسلام، فَقَدَ اعتباره واهتمامه للإنسان، في الوقت الذي شاعت ألوان القهر والاستبداد، وامتهان الإنسان، وإهدار كرامته، ولذا لابد من إعادة اعتبار علم الكلام للنزعة الإنسانية في مباحثه، لكونه علماً أصولياً ورئيسياً بالنسبة للعلوم الأخرى. يقول الرفاعي في سياق توضيح هذا:

> *"لم يدرج المتكلمون في مؤلفاتهم مبحثا خاصا بالإنسان، يتناول تأصيل موقف نظري يحدد موقع الإنسان في سلم المخلوقات.... ويستغرق علم الكلام التقليدي في البحث عن الله وصفاته وكل ما يتصل به، في سياق مستقل عن الإنسان.... بل لا يكف التراث الكلامي عن تجاهل قيمة الإنسان، ونسيان ذاتيته وكينونته الخاصة"* (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2016).

والجدير بالذكر أن من المقاصد الأساسية لعلم الكلام الجديد هو تحويل بوصلة الفهم إلى المسائل الحياتية للبشر، وكذلك ما فهمه الرفاعي منه، أن محور القرآن هو الإيمان المولد للمعرفة المولد للمشاعر والأحوال النفسية الدافعة إلى السلوك الإيجابي الفعال المنتج للحياة، لكن ذلك كله غولب من توجه الكلام الكلاسيكي في حال انكفأ على الدرس المجرد المغرق في سماء جزئية خلافية، حشدت لها كل إمكانيات المسلمين العلمية، فتوارت القيمة التربوية الثقافية للتوحيد، ومن ورائه الدين(Dowak, n.d., p. 7).

قد ذكر سلفا أن النزعة الإنسانية المعروفة اليوم وإن تطورت وتشكلت في السياق الأوروبي والغربي، لا يعني أن ذلك نفي وجودها في السياق الإسلامي، ذلك أن الثقافة الإسلامية تعطي السيادة للإله، إلا أن القرآن كالمصدر الأول للثقافة

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

الإسلامية في الحقيقة يركز كثيراً على منزلة الإنسان منذ بداية الخلق[7]. أي أن النزعة الإنسانية موجودة أيضا في الثقافة الإسلامية وإن اختلف شكلها بما عرفها الغرب، ولكنها يكمن في النصوص الدينية، ولإبرازها في الأرض الواقع وتلائم مع العصر الراهن يحتاج إلى المقاربة قد تختلف عن المقاربة التقليدية الموروثة.

الإنسانية الإيمانية في الحياة الأخلاقية عند الرفاعي

إن التفكير اليوم تسوده ثقافة التخويف والتخوين من النقد بوصف النقد هدما وتقويضا لا بناءا، فهو التحجر الذي لازم العقل الإسلامي وجعل التفكير في سبات التكرير كما أسماه الرفاعي؛ تفكير الأضداد الذي لا يكف العقل فيه عن التفكير ويبتعد بذلك عن كل ما له علاقة بالعقلانية المعنوية وهي التدين العقلاني أو الدين المعقلن وبكلمة اخرى هي فهم للدين يتسم بالعقلانية هذا الفهم العقلاني للدين هو حق من جهة ومصلحة من جهة اخرى، فهو حق لان بالإمكان اثباته منطقيا والدفاع عنه، إنه ارسخ أنماط الفهم عقلانية ومنطقا، وهو مصلحة لأن الانسان المعاصر لا يتقبل القراءات الدينية الاصولية والسلفية والايديولوجية، وهذا لا يعني أن علينا ممشاه الانسان المعاصر في كل ما يريد ،لذلك قدمنا ان هذا الفهم حق صائب وكونه حقا مسالة مهمة جدا، فالتدين العقلاني يطالب الدين بفلسفة حياة شاملة لكل جوانب حياته ومستوعبة لكافة ثناياها.

من بين القضايا المحاور التي يهتم لها البحث الفكري اليوم هي العقلانية والمعنوية والتجديد الديني، يذكر الرفاعي أنه يعتمد الفهم المعنوي للدين، والتفسير الرحماني الاخلاقي للقرآن الكريم، واستخلاص المضمون الانساني الاخلاقي في الأحاديث والاخبار والتراث، إنسان اليوم يفتقر لتدين عقلاني أخلاقي رحماني في الأحاديث والاخبار والتراث. إنسان اليوم يفتقر لدين عقلاني اخلاقي رحماني ينقذه، لأنه يعيش في عالم يضمحل فيه معنى كل شيء في حياته ، عالم تزداد فيه كآبته، ويشتد اغترابه(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2021, p. 8)، فالتأثير الحاسم للعقائد في الحياة الأخلاقية والتجارب المعنوية للإنسان، فمن المهم جدا ما يؤمن الإنسان به من عقائد و متبينات، والأهمية هنا تنبع من تأثيرات العقيدة في الحياة الأخلاقية، وأيضا مما تسببه للإنسان من تجارب معنوية(Melikyan, 2002, p. 482)، فالتجارب المعنوية هي الغاية لحركة تكاملية التي وجد فيها التكامل المعنوي لحل مشكلات في مجتمعنا، فالعقيدة الإيديولوجيا والأخلاق تحول الحياة إلى معنوية من ناحية الاجتماعية.

مع ذلك الاهتمام بالإنسان والنقلة المحورية في الفكر تسمى بالأنسنة في الفكر الكلامي والعقائدي والتي تعني "اكتشاف الانسان الغائب من تراثنا القديم، الممحو في وجداننا المعاصر. فالإنسان كامن في تراثنا لكنه مغطى ومستور ،

[7] (Al-Milad, 2013) (Jait, 2000, p. 47)

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

وعصرنا الحالي هو عصر الانسان ، وبالتالي تكون مهمة عصرنا إبراز المستور والكشف عن الإنسان، وتلك هي مهمة (التراث والتجديد) في اولى محاولاته لإعادة بناء على أصول الدين (علم الكلام) على انه علم الانسان"(Nashar, 2017, p. 92)، وهو ما أدانه حسن حنفي في علم الكلام والتراث القديم لغياب الانسان فيه، فتصور الانسان في الموقف التاريخي خلق مع الحداثة واصبح للإنسان المتعين مفهوما مع التاريخ الاوربي ومن خلال الثورات الصناعية التي لازمت تطور الفكر الاشتراكي يصبح الانسان المتعين في موقفه التاريخي وصقل عنه التنوير وانطلقت به العلوم الانسانية والاجتماعية وبعدها الرومانتيكية تؤكد على الانسان بأنّه الفرد الفريد محور ومركز ومنتهى لكل تاريخ.

لكن في تراث العربي الانسان هو الكائن الوحيد الذي صنع تراكمات وغاب عنه مفهوم التقدم فلا يعرف كيف يعود ولا كيف يتقدم للصعود "فغياب مفهوم التقدم من وعينا القومي بل قام هذا الوعي على مفهوم القهقري اي التقدم بالرجوع الى الوراء إلى عصر ولى وفات" لهذا يقول حنفي على التوحيد قديما كان علما لله مع أنّه في الحقيقة علم للإنسان وبالتالي يكون موضوع العلم الالهي هو الانسان... فعلى التجديد اليوم في قضايا الدين وعلم الكلام ان يعدل الوضع المقلوب ويكون أنثروبولوجيا وليس ثيولوجيا –أي علما انسانيا وليس علما الهيا"(Nashar, 2017)، فأنسنة علم الكلام دورها وغايتها القضاء على اغتراب الانسان والعودة به لأصل المركز الانساني والمحور التاريخي.

وأيضا تجديد التدين نحو العقلانية التي تؤسس للاتجاه الإنساني الديني بمنطق معنوية الإنسان التي يؤكد على عقائد عقلانية مختلفة عن العقائد الكلاسيكية، فيلزم التفكير الحر العقلاني الاعتراف ببشريته ومكانته، وتصحيح نمط علاقة الإنسان بالله، إلى علاقة تتكلم لغة المحبة، فالإنسانية في الدين يعني استلهام الميراث المعنوي العميق، واستدعاء التجارب الروية التطهيرية التنزيهية السامية في التاريخ، وبناء إلهيات عقلانية مستنيرة، تحررنا من التفسيرات التعسفية القمعية للنصوص، وتحدي الالهيات يتطلب الخروج من السياقات الكلاسيكية للتفكير الديني وعدم التوقف عن طرح تساؤلات بديلة، والتوكؤ على منهجيات ومفاهيم، مستوحاة من المكاسب الجديدة لفلسفة الدين وعلوم التأويل وفتوحات المعارف البشرية، تفضي الى التحرر من الصورة النمطية للإله، التي تشكلت في سياق الصراعات الدامية، والفتن والحروب العديدة بين الفرق والمذاهب، والسعي لترسيخ صورة رحمانية للإله تستلهم ما يتحلى به من صفاته الجمالية واسمائه الحسنى، ورحمته التي ووسعت كل شيء فلن ينقدنا الا اله جديد حسب تعبير هايدغر، والتي تكون دعوة للسلام واحترام الكائن البشري عبر دراسة مقارنة الأديان، يؤكد الرفاعي في مشروعه التحديثي في قوله "إنجاز مصالحة بين المتدين ومحيطه والعصر الذي يعيش فيه والاصغاء لإيقاع الحياة المتسارعة ومحيطه ووتيرة العلوم التكنولوجيا

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

التي لا تكف عن مفاجأتنا كل يوم بجديد، تتبدل معه صورة العالم، وتختلف تبعا لها أساليب تعاطينا مع الواقع"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2013, p. 11).

فكل مشكلات الشخص البشري تعود للفشل في اكتشافه لذاته وسبر أغوار كينونته حسب الرفاعي، فمن أسباب ودواعي تجديد مباحث الكلام هو نسيان الإنسان في الكلام القديم وافتقاره لمبحث القيم والاخلاق المتعلقة بقضايا تخص الإنسان وواقعه، فلم يدرج المتكلمون في مؤلفاتهم مبحثا خاصا بالإنسان، "فيتناول تأصيل موقف نظري يحدد موقع الإنسان في سلم المخلوقات، أي منزلة الإنسان وقيمته بالنسبة إلى غيره والهدف من وجوده، وحقوقه وحرياته وطبيعة وظيفته وأنماط حياته وثقافته"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2016).

أنسنة الدين كما يحددها الرفاعي على انها ما نريده من الانسان والدين إذ يختلف "مفهوم الانسان وهكذا مفهوم الدين تبعا للسياقات التي نفهمه في فضائها والمرجعيات التي يحيل إليها، والرؤية للعالم التي نتبناها، فلا فهم للدين فهما وضعيا يقطع صلته بالمطلق، لذلك أختلف في فهمي لأنسنة الدين عما هو شائع"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2019, p. 90)، أما مفهوم الدين كحاجة وجودية لحل مشكلة الاغتراب الميتافزيقي الذي يساهم في الاجابة عن أسئلة الانسان من حيث المبدأ والغاية والمنتهى فحقيقة الدين وعلاقته بالإنسان أنه أهم عامل لبناء كينونته وشلها من الضياع ويعد المركز المحوري لحل لغز الانسان على حد تعبير نيتشه (Friedrich Nietzsche) ان كل إنسان أعجوبة فريدة.

فمفهوم أنسنة مثل ما عرفها علي حرب، هي ثمرة لعصر التنوير والانقلاب على الرؤية اللاهوتية للعالم والانسان، أي هي ثمرة رؤية دنيوية ومحصلة فلسفة علمانية ودهرية، بهذا المعنى فان الأنسنة هي الوجه الاخر للعلمنة (Harb, 2004, p. 73)، الدين عند الرفاعي "ليس هو نفسه الذي يوجد عند المفكرين من ان الدين ينبغي ان يدرس كأية ظاهرة بشرية مقطوعة الصلة عم عدا البشر ولا تبرير أو تفسير لوجودها وتطورها خارج عوالم البشر الحسية ، وكأن الدين كأية ظاهرة مجتمعية يمكن أن نفهمها في إطار فهمنا لسواها من الظواهر"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2019)، فأنسنة الدين هنا تمثل توقُ أنطولوجي للروح الذي يبعد الذات عن كل الصور الزائفة للدين ، ويربطه بهدف إنقاد المعنى الروحي والاخلاقي بعد ضياعه في دين سياسي ودين فقهي، فأنسنة الدين تعني ايمانية انسانية وانسانية ايمانية عند الرفاعي وهي مختلفة عن الانسانية التي لا تبعأ بالإيمان، فالرفاعي يقصي نظرة الأنسنة التي تدعوا الى مركزية حول الانسان وتفضي بتنصيب الانسان بديلا لله في كل شيء حتى تنتهي الى نسيان الله وتأليه الانسان.

لذلك يحث على ضرورة اقتران الانسانية بالإيمان والتي تتمثل في الحياة الروحية، وضرورة اقتران الايمان بالإنسانية باعتماده للعقل كمرجعية للفهم،

للخلاص من القراءات الخرافية والاساطير الوثنية والدوغمائية، وذلك بربط علاقة بين علوم الدين وعلوم ومعارف الانسان. فالدين جاء لتكريم الإنسان وتحريره من شعارات لا مضمون لها، فتدخل عملية التجديد من أجل فرض قيمة الإنسان وفهم النص لما يخدم الإنسان، فيشترك ذاته في مصيره على أن يكون ذو سيادة على مصيره وهي ما يفتقرها في المتون القديمة، فالدين يعزز الإنسان بمكانة جوهرية وهو موجود بين جميع الأديان في العالم، فبداية النزعة الإنسانية كانت مدخلا للتنوير في الفكر الأوربي وكانت هناك نزعة الإنسانية مؤمنة مع كارل ياسبرز (Karl Jaspers) وغابريل مارسيل (Gabriel Marcel) وبول ريكوا (Paul Ricœur) الذي يدعو فيها الإنسان إلى تجسيد إرادة الله على الأرض وفق العناية الإلهية، والأخرى ملحدة مع جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre) ومارتن هايدغر (Heidegger Martin) والتي يدعو فيها إلى التمرد على الله من أجل العناية بالإنسان، وكانت هذه الرؤية أحد أسباب الحداثة الغربية على أساس العقلانية والعلمانية، لأن الاهتمام بالإنسان معناه إعطاء الأولوية لعقله في الإدراك والتمييز وبناء الأحكام المعيارية ومعناه أيضا رفض كل أسبقية دينية أو ميتافيزيقية يمكنها أن تحد من إبداعه وفعاليته في التاريخ، فالأنسنة بهذا المعنى قطيعة حاسمة مع كل نظرة لاهوتية قر وسيطة صادرت كيان الإنسان باسم الإيمان، وتمثل في الوقت نفسه تأسيسا لفلسفة جديدة ـــــ لرؤية جديدةـــــ تحل الإنسان محل المركز من الوجود بعد أن كان من الوجود على هامشه(Al-Kahil, 2011, p. 60).

فالحداثة الغربية أسست الإنسان كمبحث تفكيري له سيادة خلافا لما كان موجود في القرون الوسطى، فتم استقلالية الذات البشرية وتحرير عقلها وروحها، أمّا في الفكر العربي فكانت الريادة في مجال الإنسانيات لمحمد أركون عرف في العقود الأخيرة للقرن العشرين، من خلال موضوع أطروحة قدمها لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان نزعة الأنسنة في الفكر العربي، ثم من خلال كتابه *معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية*، التي أكد فيها على ضرورة الأنسنة في قوله "وأنا عندما اعتمدت مصطلحا غريبا كالأنسنة فإني أردت لفت الانتباه إلى ضرورة إعادة التفكير في النزعة الدينية الإنسانية"(Arkoun, 2001, p. 30)، وميز أركون عدة أشكال للإنسانية منها أنسنة الدينية، وأنسنة الأدبية، وأنسنة الفلسفية، والنزعة الانسانية الكونية.

حاجة الإنسان للأنسنة الدين تتم بالرجوع للنصوص المقدسة وفهمها فهما عقلانيا معنويا، حتى تحقق غاية السعادة الدنيوية المعنوية، العدالة والحرية والنظام والأمن على المستوى الجمعي والرضا الباطني الذي يشمل السكينة وعلى المستوى الفردي بالاهتمام بالدين وشؤونه(Melikyan, 2010, p. 395) على غرار السعادة الأخروية التي تسمى فلاحا عند الأديان التقليدية وهو ما يحاول الكلام الجديد تجاوزه باتخاذ الإنسان جوهرا للتفكير الكلامي الجديد، فبذلك ينتقل الكلام من

العلوي إلى السفلي من الإنسان إلى الله، فتكون قيمة الإنسان مقابلة لفهم النصوص المقدسة وهو ما أشار إليها محمد اركون في فهم النصوص المقدسة ونزع القداسة عنها بآليات علمية، وما أكده الرفاعي في مشروعه نحو الإنسان كان قيد النسيان في الأطر المباحث الكلام التقليدية فقد تجاهله العقل الكلامي، مما جعل بين الإنسان والله فجوة مبنية على الخوف والوعد والوعيد والجزاء فأراد الرفاعي أن تتغير تلك الفجوة من خوف صراطي إلى محبة وإيمان روحي وأخلاقي قيمي، فالتجربة الإيمانية وحدها ما تحقق الراحة الروحية للإنسان، وتجعل له مكانة جوهرية يكون أساس العقل والتفكير .

يدعو الرفاعي إلى الإنسانية الإيمانية ويشرح ذلك بقوله:" أنسنة الدين التي أتبناها وأدعو إليها هي نمط حضور لـ" الإله الروحي الأخلاقي" في حياة الإنسان، وبكلمة أخرى هي تدين إنساني روحاني اخلاقي، لا يقطع الصلة بالله ويجعل الدين ظاهرة بشرية خالصة، مثلما لا يتجاهل الطبيعة البشرية، ويتعاطى مع الإنسان وكأنه روح مجرد فقط إنما يوظف كل المعطيات والخبرات البشرية في الفهم الصحيح لهذه الطبيعة"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2017b)، يؤمن بذلك كل حاجات الإنسان الروحية والجسدية ويعطيها معنى خارج عن العبثية ويخلص الإنسان من العدمية والتشاؤم بحيث يعطيه قيمة جوهرية انطولوجية .فأنسنة الدين من منظور الرفاعي هو الانسانية الايمانية ،يحيل معناها إلى ان الله واحد وأيضا الانسان واحد لذلك يكتسب الانسان حقوقه الطبيعية من كونه انسان لا غير وعلى هذا الاساس يبنى مفهوم المواطنة التي ينبثق منها استحقاق كل مواطن لحقوقه المدنية والسياسية، وفي سياق هذا الفهم تكتسب المساواة قيمتها من كونها مساواة لا غير والحرية قيمتها من كونها حرية لا غير والمحبة قيمتها من كونها محبة لا غير والرحمة قيمتها من كونها محبة لا غير ،ذلك ان المساواة والحرية والمحبة والرحمة قيم كونية عابرة للمعتقدات والاثنيات والثقافات والهويات والزمان والمكان والتاريخ والجغرافي، كما عرفها الرفاعي على أنها تعني انسانية ايمانية وايمانية انسانية وهي لا تتطابق والإنسانية غير الإيمانية، التي يتحدث عنها بعض المفكرين في الغرب والشرق، والتي تتمحور الأنسنة فيها على مركزية الإنسان وتفضي إلى نسيان الله وتأليه الإنسان(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2017b).

فالرفاعي بهذا المفهوم يرفض مفهوم الأنسة الغربي حيث يكون الإنسان فيه مركز السيادة دون إيمان ودون مقدس ودون إله، كما أعلن بذلك فيلسوف العدمية نيتشه بموت الإله، فضرورة اقتران الإيمان بالأنسنة يجدها الرفاعي تعود بالأساس أن الإنسان لا يستغني عن الحياة الروحية، فيقول إن نسيان الله يقود إلى ضياع البشرية وتخبطه في روحانيات زائفة.

الإيمان الذي يعنيه الرفاعي بالإنسانية الإيمانية هو الإيمان المحرر والذي هو نمط حضور الإله في قلب الإنسان وضميره وحياته، أمّا إيمان الاستعباد، فهو

ضرب من خراب الروح ومرض القلب وشقاء الضمير وسبات العقل، أنّه يستبد بصاحبه فيأسره، ويعمي بصيرته، ويصيره كائنا متوحشا، مولعا بالموت لا الحياة، بالحرب لا السلام، بالكراهية لا المحبة، لا يعرف معنى احترام حقوق الناس وحرياتهم، ولا يكترث لما تقوله أخلاقه وإنسانيته، لأنه في كل قول وفعل أسير صورة إله دموي محارب، وعبد لمعتقده هذا(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2017a)، فإيمان الحرية يؤسس للحريات الحقوق والمعتقدات على عكس إيمان الاستعباد، فالإيمان حالة ديناميكية حية تحقق للإنسان وجوده الأنطولوجي وقيمته المعرفية ، "ومما لا شك فيه أن الاجتماع الانساني طالما تعرض للانتهاك بذرائع دينية مختلفة، والكثير من الجنايات والمظالم والاغتصابات ارتكبت في التاريخ باسم الذود عن الدين، والدفاع عن "شعب الله المختار" أو "الامة المصطفاة" أو "الفرقة الناجية". وما زالت القراءة الفاشية للنصوص تنتج أعداداً لا حصر لها من المتطرفين، الذين ينتهكون كرامة البشر ويقتلونهم بلا سبب، بغية الفوز برضوان الله ودخول الجنة"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b, p. 197)، لهذا يدعو الرفاعي لدراسة التاريخ ومراجعته نقديا وقراءته تحليليا لتقويم الموروث وفتح نوافذ مضيئة منه من قيم روحية واخلاقية وجمالية.

فأنسنة أركون تختلف عن أنسنة الرفاعي فأركون ميز الأنسنة الكونية التي هي رؤية فلسفية عقلية للأشياء التي تتجاوز ارتهان الحقيقة للدين، فالأنسنة الكونية في دلالتها القصوى هي الفلسفة التي تتخطى الوحي والتي تطمح إلى أن تجد في الإنسان وحده أو في الإنسانية التاريخية مقياس كل شيء، فتعامل مع الإنسان ككائن مقدس، "فالموقف الديني للروح لا يسمح إلا بصيغة معينة من صيغ الأنسنة، صيغته محصورة داخل جدران النظام العقائدي الخاص بكل دين، ويقدمون مؤلف هذا النظام على أساس أنه الإله المتعالي المليء بالنيات الطيبة والحسنة تجاه الإنسان، وقد ظل هذا النظام الديني مهيمنا على عقول البشر حتى ظهور الحداثة الفكرية وسلاحها النقد التاريخي للنصوص"(Arkoun, 1997).

تكون النزعة الانسانية التي يرمي إليها الرفاعي في سبيل تحرير الدين من الفهم المتوحش الذي تبثه السلفية المعاصرة، الذي تشوه بفعل التعصب والتكفير والكراهية، يمكننا السعي للكشف عن النزعة الإنسانية العميقة في الدين "وإضاءة الحقول المنسية في النصوص المقدسة، والتنبيه إلى الجهل أو التجاهل والإصرار على تغييب مساحة واسعة من تلك النصوص، تغتني بالجوانب التنزيهية السامية، التي تصطفي الإنسان، وترفع مكانته، وتعتبره أكرم موجود خلقه الله في العالم بل خلق كل شيء مسخرا من أجله، وجعل حياته أغلى رأسمال في الوجود، فهي مناط الخلافة وموطن المسؤولية والأمانة الإلهية "(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2013)، فإحياء النزعة الإنسانية في المباحث الكلامية الجديدة كما أكد أركون على تجذر النزعة

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

الإنسانية في الدين الإسلامي، باقترانها بأبعاد أخلاقية ومعنوية ورمزية جمالية بتطهير التدين من كل أشكال الكراهية والإكراهات.

فضرورة اقتران الإيمان بالإنسانية، يعود إلى الحاجة إلى الخلاص من القراءة الخرافيّة للنصوص الدينية، والقراءة العنيفة لهذه النصوص، القراءة العنيفة تفتك بالإنسان، وتهدر كرامته، وتبدِّد إيمانه، والقراءة الخرافية لا تخلو من وثنية، وكل وثنية لا تهدر كرامة الإنسان، وتبدد المضمون الروحي الأخلاقي للدين فحسب، بل يحتجب معها اللهُ عن العالم، وتنتصب بديلاً عنه تعالى، أوثانٌ تَتعدد بِتعدد تلك الخرافات. هذه الأوثان ليست إلاّ آلهة زائفة تستعبد الإنسان، بعد أن تشلّ عقله، وتمزّق روحه، وتبذر حقوقه، وتحجبه عن "الإله الرحماني الأخلاقي" (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2017b)؛ فلا يمكن اختزال الإنسان في مجموعة المعتقدات والمفاهيم والقيم المثالية التي تتعالى على بشريته، ويكون بذلك كائنا متعاليا أي مقدسا كما أشار لذلك أركون، "ومنسلخا عن عالمه الارضي مثلما تريد بعض الاتجاهات الصوفية والدعوات الرهبانية، بل يعني انقاذ النزعة الانسانية ايجاد حالة من التوازن والانسجام بين متطلبات جسده من حيث هو كائن بشري"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2013).

إنسانية الدين التي واكبت النظرة اختزالية للإنسان "فالمعنى الذي يخلعه الدين على الحياة، حياتنا نحن البشر، يتوقف في تفسيره وأبعاده وشموله ومجالاته على رؤيتنا للوجود البشري ومعناه وحدوده وإمكاناته، فقد يعظم ويبخل هذا الوجود ويحتفي به، حتى يجعل منه غنيا في كل شيء، عن كل شيء ما عداه"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2013)، هنا تكمن المقاصد الإنسانية للكلام الجديد في ايقاظ المعي الروحي والاخلاقي والجمالي في الدين، بما يتواءم وحاجة حياة الانسان للمعنى الديني في زماننا، ويسعى لاكتشاف القيم الكونية المشتركة في الاسلام مع الاديان الاخرى ويعمل على الكيف عن اخراج الدين عن مجاله ومصادرته لكل شيء في الحياة وزجه في مجالات تجهض المعنى الذي ينشده بتحويل الفهم إلى المسائل الحياتية المتعلقة بالبشر.

مفهوم التدين في الإنسانية الإيمانية غير التديُّن المُستلَبة فيه إنسانيةُ الإنسان أما الإيمان في الإنسانية الإيمانية، فهو الإيمان الحرّ الذي يقترن دائمًا بالحرية، وليس بالاسترقاق والعبودية. فيجب أن يكون إنجاز مصالحة بين المتدين ومحيطه وتغيير الحياة الواقع وفق ما يقتضيه العقل والتفكير الحر للخروج من الأسيجة التقليدية التي تأسست على اليقينيات والقطعيات والمتكررات، فالتحرر عملية تجديدية تجعل العقل يستأنف التفكير.

الدفاع عن الله في الإنسانية الإيمانية يبدأ بالدفاع عن كرامة الإنسان وصيانة حقوقه وحماية حرياته، إذ لا يمر الطريقُ إلى الله إلاّ عبر احترام الإنسان، ورعايته،

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

وتكريمه، كما تولي ذلك الإنسانية الإيمانية، فيَتّحد فيها مسارُ الإيمان بمسار حماية كرامة الإنسان، واحترام حقوقه وحرياته، بل إن الإيمانَ إنما يتحقق ويتكرّس فيها، بالغيرة والشفقة على الإنسان؛ إنها أنسنةٌ للإنسان بحمايته من لا إنسانية الإنسان، وتحرير الإنسان من تعصُّب، وعدوان، وعنف الإنسان.

حينها ترتبط الحياة الإنسانية بالذات الإنسانية فتطمح لتحقيق الحرية والوجود الإنساني تسعى للتكامل في تحقيق قيمة للذات البشرية، فنرى أنّه عند غياب الوعي الفردي تطمس الهوية الشخصية وتتلاشى الذات البشرية، فحقيقة الحاجة للوعي والعقل والتفكير الحر تجعل الكلام على وقع التجربة الدينية التي لا تخرج عن الإيمان على أساس أنها جوهرة روية متسامية، "فالله يحضر حيث تحضر الذات البشرية؛ الذات تحضر حيث تحضر الحرية، والكرامة، والحقوق البشرية. الله يغيب حيث تغيب الذات البشرية؛ الذات تغيب حيث تغيب الحرية، والكرامة، والحقوق البشرية(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2017b) ".

المنهجية الفكرية الإنسانية عند الرفاعي

يرى الرفاعي أن المنهجية المهمة في الكشف عن القيم الإنسانية من النصوص الدينية لن تتم إلا بعد مراجعة نقدية للتاريخ وقراءة تحليلية للنصوص وتقديماً للموروث من منظور ورؤية مختلفة، والذي يمكن لنا بذلك أن تفتح نافذة على المضيئة والثراء والتنوع في النصوص(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b)، وأن ما غاب من العقل الإسلامي والتفكير الكلامي الإسلامي حيويته هو الممارسة النقدية في التفكير، ذلك إن زال هذا النمط من التفكير زالت محاولة تصويب الأفكار وإنضاجها. مشرحا أن

> *"تكمن أهمية النقد في أنه أهم أداة يعتمدها العقل البشري في التطور في مختلف المجالات، لأن عملية التفكير تعتمد بشكل أساسي على التأمل والغربلة والتمحيص والتقويم، ما لم يكن هناك نقد وغربلة وتمحيص لا يمكن أن نفكّر بجدية، النقد علامة التفكير بحرية، إما أن نفكّر بحرية أو لا نفكر أبداً، هذا هو التفكير الذي يضعنا في عصر جديد، وينقلنا إلى عوالم مختلفة"* (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2016).

ومن أهم مفاتح تطور العقل البشري هو التفكير النقدي، والوقف عنه يساوي الوقف عن التفكير نفسه. وبرزت حيوية العقل إذن، من خلال مداومة الممارسة النقدية في التفكير، وعدم الاكتفاء بتسليم المسلمات المسبقة دون المراجعة والنقد.

فالتفكير النقدي بهذا المعنى هو أن يكون تفكيراً تساؤلياً على الدوام، لأنه الذي يولد المعرفة لكون السؤال هو نصف المعرفة، ومن خلاله يمكن للبشر من الوصول إلى ما هو ممنوع مهمل ومنسي في التفكير، وهذا مهم لأجل الحفاظ على صحة العقل الجماعي، وكذلك يعتبر شرط أساسي في تطور الفكر والعلم، من

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

بينهما علم الكلام(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2016). وأنه ليس سوى الممارسة التساؤلية بمثابة الشك المنهجي الذي يعتمده الفلاسفة وبعض المتكلمين مثل الغزالي والرازي لتوليد المعرفة ولتطوير الفكر الديني، ولإنتاج رؤى واجتهادات وابتكار آراء جديدة حينئذ.

ويصرح الرفاعي بأن ليس شيء ممنوعاً من النقد والتفكير، ولا يمكن للعقل أن يتصور بعدم جواز التفكير في شيء ما(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2016). حتى وإن وجد نهي تفكّر في شيء ما، فينصب الذهن إلى تفكير ذلك الشيء، وهكذا طبيعة العقل البشري، ولا شيء إذن مما يخصّ الإنسان أي بإمكانه منطقياً أن يكون موضوعا لتفكيره به ويمتنع من التفكير فيه عليه. وعليه، يرفض أية محاولة لتقديس أفكار السابقين ومقولاتهم، وطالما هذه الأفكار والمقولات من منتج البشر، لا يبرئ كونها من النقد والمراجعة، وإضافة إلى أن كل الأفكار الإنسانية مرتبطة بالتحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية المحيطة لها(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2016). ذلك لأن الأفكار الدينية ليست سوى الاجتهادات البشرية، وإذا كانت هذه الممارسة الاجتهادية في مجال أفعال المكلفين تنوعت وتعددت المذاهب الفقهية، وأصبح في كل منها مواقف عديدة فيما يتعلق بالأحكام، بينما إذا كانت هذه الممارسة الاجتهادية في مجال المعتقدات، ظهرت منها المدارس والفرق الكلامية، وصار كل منها مواقف كثيرة. والنقد هنا يعني مساءلة المسلمات الموروثة الراسخة، في علم الكلام القديم وأصول الفقه وعلوم القرآن والتفسير، وغيرها، وكل تلك الأسس والمرتكزات الراقدة في الطبقة التحتية لبنية المعارف الإسلامية، والموّلدة للتفكير الديني في الإسلام، عبر اشتغالها على توجيه دلالات النصوص، في سياق منطقها الذي يفضي إلى معنى محدد، يغدو هو الشريعة وأحكامها، وإن رفضه يعني رفضا للشريعة الإلهية. وهي لا تعني تكرر هذا المعنى، وتعيد صياغته بعبارات متنوعة، لكن المضمون يمكث على الدوام كما هو، مهما تقادم الزمان(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018a, p. 168).

إنّ كل مثقف إذا تمسك بهذا النمط من التفكير يشار في الحقيقة إلى ممارسة تفسير العالم، لكون مهمته الأساسية هو ممارسة النقد، ويعني بها محاولة تصويب الأفكار والآراء. فكل هذه الممارسات توصل فيما بعض إلى محاولة تغيير العالم، ذلك لأنه يعتقد كلما اتسعت مساحة النقد، كلما تحرر العقل من مختلف الوصايا وإذا حرر العقل وفتحت منافذه على الاختلافات والتنوعات، حققت واحدة من الوعود الكبرى للوعي البشري، واستطاع الإنسان حينها من وضع العقل على سكة الإبداع والتطور والابتكار(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b).

إضافة إلى كل ذلك، أن محاولة إحياء النزعة الإنسانية في الإسلام يفرض وجود التخلص والتحرر من ثقافة الاستبداد، وهي ثقافة التي تصادر الحرية، بل تحجب نشوء الحرية الفكرية في المجتمع، فلا يمكن إذن تخيل ازدهار النزعة

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

الإنسانية ما دام الاستبداد يسود ويهيمن تفكير المجتمع (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b). فمن المفروض إذن تجاوز تلك القراءة المغلقة للنصوص، والمبادرة في السعي إلى القراءة الجديدة حيث تتطلب هذه القراءة الانفتاح على التساؤلات الجديدة، وبالتالي توصل إلى التحرر من الصورة النمطية للإله خاصة والدين على وجه العموم.

الأسماء والصفات لله ملهمة الإنسانية

إن تفعيل المنهجية الفكرية أنه الذكر لدى الرفاعي هو من خلال إعادة قراءة أسماء الله تعالى وصفاته، وهذه القراءة ليست القراءة التقليدية، ولكنها القراءة ذات الطابع الإنساني، وهي ليست بمجرد تحليل معانيها على الطابع التقليدي المتغلب على النزعة التجريدية كما وجد ذلك في الأدبيات الكلامية الكلاسيكية. وإن من تلك الأسماء التي يمكن فهمها على الطابع الإنساني على سبيل المثال لا الحصر: الرحمن، الرحيم، القدوس، السلام، المؤمن، العزيز، الباري، المصور، الغفار، الوهاب، الرزاق، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الحليم، الشكور، الحفيظ، الكريم، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، الحق، المحيي، البر، التواب، العفو، الغفور، الرؤوف، مالك الملك، الغني، النور، الهادي، الرشيد، الصبور وما إلى ذلك(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b). بعبارة أخرى أن بناء مفهوم الإله الجديد على أساس النزعة الإنسانية يمكن البدء به من إعادة تفسير معاني الأسماء والصفات، ذلك لتعطي معاني جديدة لها، الأسماء الإلهية مثلا هي منبع الالهام والتأمل بالنسبة لأصحاب التجارب الروحية السامية، وهي تفهم لديهم بمعنى أخلاقي، فالحق سمى نفسه البصير ليمنع الإنسان من الذنب، أو السميع لكيلا يفتح الإنسان فاهه بكلام معيب ومنفر، وهكذا بقية الاسماء، فهي تعمل في الإنسان بمثابة نماذج للتحذير والتنبيه.

وموضحا في محل آخر عندما يريد الإنسان أن يجتنب غضب الله، عليه أن يتخّلص أولا من غضبه هو، لأن الإنسان مدعو الى أن يخلق نفسه بأخلاق الله (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b). بهذا المعنى، تأثر الرفاعي في الحقيقة بمقولات جملة من المتصوفة العقليين مثل ابن عربي (ت: 1240 م) والرومي (ت: 1273 م) والقشيري (ت: 1072 م)[8]، حيث فسروا معاني الأسماء والصفات لله تعالى بالطابع الأخلاقي الإنساني. يقول الرفاعي نقلاً من كلام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (465 ه).

[8] . على الرغم من تأثره بالمتصوفة فأنه حين يستشهد بابن عربي وجلال الدين الرومي والنفري فإنه لم يقلدهم، ولم يصبح صوفيا، ذلك أنه يستفيد من التصوف المعرفي، تصوف الحياة الروحية والأخلاقية، والبهجة العقلية في وصال الحق، ويرفض التصوف الطرقي، تصوف الدروشة، وتعذيب الجسد، والانطواء، والغياب عن العالم. فهو: يقبل من جلال الدين الرومي معظم نصوصه، وتجربته الروحية الهيجة، لكنه يرفض رقصه في الأسواق، وعبودية المريدين المولوية له. يحترمه، لكن لا يحاكيه، أو يكون نسخة منه.

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

"ومن أجلى مصاديق التخلق بأخلاق الله هو تدريب النفس على حب الآخرين، وتمنّي الخير لهم، ومحاولة تحرير النفس من النزعات العدوانية، وترويضها على الخلاص من الدوافع الشريرة التي يبتلى بها البشر. ويعتبر الحب منبع الهام الحياة الروحية، ومصدر الانجذاب الى الحق تعالى، فان المتألهين في وجد لا ينقضي لشهود نور جمال الحق، وشوقهم لا ينضب، وظمأهم حارق لا ينطفئ، ولعل فيما ينسب الى أبي يزيد البسطامي اشارة الى ذلك"[9].

ويبدو مما سبق أن إحياء النزعة الإنسانية وإبراز قيمها يمكن تفعيلها من خلال اكتشاف معاني أخلاقية إنسانية في أسماء الله تعالى صفاته، وأن السبيل للتخلق بأخلاق الرحمن مثلا إنما يتحقق عبر إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، واضاءة أبعاده الأخلاقية والمعنوية والرمزية والجمالية، وتطهير التدّين من كافة اشكال الكراهية والاكراهات. ويصرح أن ذلك لا يعني اختزال الإنسان في مجموعة مفاهيم وقيم مثالية، تتعالى على بشريته، وتصيره كائنًا سماويا مجردا، منسلخا عن عالمه الارضي، مثلما تريد بعض الاتجاهات الصوفية والدعوات الرهبانية. بل يعني انقاذ النزعة الإنسانية إيجاد حالة من التوازن والانسجام بين متطلبات جسده من حيث هو كائن بشري، وامكانية غرس وتنمية روح التصالح مع العالم، والتناغم مع ايقاع الكون، وتكريس حالة الانتماء للوجود، والتعاطف مع كافة الكائنات الحية والشفقة عليها، وتعزيز اخلاقية المحبة، وتدريب المشاعر والاحاسيس والعواطف على القيم النبيلة، والسعي لاكتشاف روافد ومنابع الهام الطاقة الحيوية الايجابية في هذا العالم، والتواصل العضوي معها. وهذا يعني التحلي بصفات الله، مثل: الرحمة والمحبة والعفو والمغفرة والسلام (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b).

العلاقة التوحيدية الإيجابية عند الرفاعي

يفهم الإسلام بأنه دين المحبة والرحمة، بل ظل على الدوام أحد أهم منابع إلهام قيم المحبة والتراحم والتعاطف والشفقة واحترام كرامة الكائن البشري، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (Al-Bayhaqi, 2003, p. 20571). يقول أبو العلا عفيفي (ت: 1966 م) شارحا مفهوم المحبة في قول ابن عربي،

"الحب موجود على الدوام متبادل بين الحق والخلق. والشوق والحنين واللقاء موجود على الدوام أيضا، لأن الحق دائم الظهور في صور الخلق، يدفعه إلى ذلك الحب الكامن فيه نحو ذلك الظهور. والخلق دائم الفناء، يدفعه إلى ذلك الحب الكامن فيه نحو التحلل من الصور والرجوع

[9] (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b) (Al-Qusyairi, 'Abd al-Karīm Al-Qāsim, n.d., p. 146)

إلى الأصل" ('Arabi, n.d., p. 327)*.إضافة إلى أن قيمة الحب أصيلة في هذا الدين بمختلف مظاهرها يقول أبو حامد الغزالي "إن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذرة العليا من الدرجات فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها* "-Al) Ghazali, 2016, p. 358).

لكن يبدو في القطاع العام غلبة نشوء خطابات عدوانية عاصفة ومفاهيم مشوهة تثير التعصبات والكراهيات والدعوة لقتل الآخر والنزاعات المسلحة، وما يستتبعها من انقسامات وحروب مزمنة، تغِّذيها على الدوام الجماعات الإرهابية المكتسية بإلباس الديني. وفي مثل هذه المناخات يبدو عند الرفاعي أن "من يتحدث عن النزعة الإنسانية في الدين، كمن يحكي لنا عن ماض مضى ولن يستعاد، أو من يحلم بعالم رومانسي مثالي، لا صلة له بمجتمعاتنا اليوم"-Abd al-Jabbār al) Rifai, 2018a).

لذلك، تتجلى أهمية إعادة البحث عن المنازع المؤكدة على الإنسان الرباني الرحماني التراحمي، أكثر من ضرورة أنطولوجية وتاريخية، لمضمون علم الكلام الجديد، الذي يعدّ الرفاعي، واحد من أهم المؤسسين له، خاصة عندما يؤكد على "الخلاص والتحرر من نسيان الإنسان. والاعتراف ببشرية الإنسان ومكانته في الأرض، وتصحيح نمط علاقته بربه، وتحويلها من صراع مسكون بالرعب والخوف والقلق، إلى علاقة تتكلم لغة المحبة، وتبتهج بالوصال مع معشوق جميل"(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b). فمن أجل التحرر والخلاص من تلك المفاهيم المشوهة يرى بضرورة تجديد الصلة بالله وبناء الكلام الجديد ذي البعد الإنساني، ويعني ذلك بأن يبدأ بتجديد الصلة بالإنسان، لأن الإنسان هو الغائب والمنسي الأكبر في خطابات بعض الجماعات المتشددة.

بدأ الرفاعي في التمييز بين ما يسمى بعباد وعبيد. فالعباد مشتقة من عبادة، ومرادفاتها اعتكاف، تَعبد أي نسك، ومقابلها إباحية، تهتك أي خلاعة، أو دعارة، أو عهر أو فجور أو فسق. ويبني العباد علاقتهم بالله على أساس الحرية والاختيار، ويرى في هذا السياق أن العلاقة بالله لا تأخذ نصابها في تشييد حياة روحية أخلاقية أصيلة إلاّ إذا كانت حرة، أي أنها ينبغي أن تكون علاقة مبنية على حرية واختيار، لا إكراه وامتهان واسترقاق حسب تعبيره(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018a). ويصرح أن القرآن الكريم يشير إلى عباد أي أحرار، وليس بمعنى أقنان مستلبين مجبرين مكرهين، الحر هو المقابل للعبد، عبيد جمع عبد، الجاحد هو المقابل للعابد، عباد جمع عابد، القرآن يستعمل كلمة عباد أكثر، فيما يستعمل أقل من ذلك بكثير كلمة

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

عبيد، وحيثما وردت كلمة عبيد في بعض الآيات فهي تقترن بنفي الله الظلم عن نفسه.

أما عبيد هو مشتقة من عُبودية، ومرادفاتها استعباد، رق، ومقابلها حرية، عتق، إعتاق، تَحرر، تسريح، حرية. وكأن القرآن عند الرفاعي ينبه إلى ما تشي به السياقات الاجتماعية لمدلول العبودية، ومن تشبعه تاريخيا بمعاني الاسترقاق، وكيف انها تحط مكانته البشرية، وتستبيح شخصيته، وتهين كرامته، بنحو يصير فيها الكائن البشري بمثابة متاع يمتلكه شخص آخر، لا حياة خاصة ولا كينونة مستقلة له، وليس له من أمره شيئًا. فأراد الله أن ينفي عن ذاته تعالى، هذا النمط من اهدار الكرامة البشرية واهانة الانسان(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018a). إن مثل هذه الرؤية التوحيدية تؤسس لصلة حية للإنسان بالله، ينبع منها فهم روحاني أخلاقي للدين، وقراءة للقرآن في سياق يعلي من مكانة الإنسان، ويحمي كرامته، ويجعله يرى الناس بمرآة الحق وليس بمرآة الخلق.

في صورة نقدية قدمها الرفاعي لفكرة علاقة الإنسان بربه المتمثلة في علم الكلام الكلاسيكي، التي قامت على أساس الخوف ونفسية العبيد، وهذه العلاقة التي تؤدي إلى ما سماه بلاهوت الاسترقاق، ويعني به صورة لاهوتية التي تصادر حريات وحقوق الشخص البشري الاجتماعية(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2016). وكما تصير صلة الإنسان بالله في أفق هذه الرؤية عضوية، كذلك تصير صلة الإنسان بالإنسان عضوية، بوصف الإنسان هو المرآة المفصلة لأسماء الله، والتي تظهر فيها صفاته التي يتجلى فيها لخلقه. ولما كان الإنسان بهذه المكانة، في كون كل شيء لأجل الإنسان بما في ذلك الدين، لأن الدين لا ينشد إلا التسامي بالإنسان وإسعاده. إذن هذا النمط من الصلة بالله لابد من تحويلها إلى العلاقة المبنية على الحرية والاختيار لدى لإنسان، وإن العلاقَة بالله لا تبتنى في إطار هذه الرؤية التوحيدية على العبودية بمفهومها الكلامي التي يكون فيها موقف الإنسان منفعلا مستلبا، بل إنها تبتنى على مفهوم يكون فيها موقف الإنسان متفاعلا إيجابيا، ذلك أن جوهر الصلة بين الإنسان والله، من منظور هذه الرؤية، هو الحب المتبادَل. وإلى جانب أن القراءة السطحية التقليدية للنص فيما يتعلق بصورة الله عند الرفاعي قد يفضي إلى إنتاج فهم للإسلام مفرغ من الرحمة والمحبة بلا شعور، تتحول فيه صورة الله إلى وحش يفترس كل حياة وجمال ورحمة ومحبة في هذا العالم (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018a).

وتستبعد تلك القراءة للنصوص الدينية ما يشي بالسلام والتراحم والمحبة، والأمل والحلم والتفاؤل، بعد أن تخلع على النصوص أقنعة تحجب مقاصدها الأخلاقية، ومضامينها الروحية، ومؤشراتها الإنسانية. فهل يمكن بناء حياة روحية وأخلاقية في مجتمع تتفشى فيه هذه الثقافة الدينية؟ فيستعين الرفاعي في سياق بناء الكلام الجديد ذي البعد الإنساني بميراث ابن عربي، يقول ناقلاً عن ابن عربي:

Potret Pemikiran Vol. 27, No. 2 (2023): 279-304
Website: http://journal.iain-manado.ac.id/index.php/PP
ISSN 2528-0376 (online) ISSN 1693-1874 (print)

"والرحمة على الحقيقة نسبة من الراحم، وهي الموجبة للحكم، وهي الراحمة. والذي أوجدها في المرحوم ما أوجدها ليرحمه بها، وإنما أوجدها ليرحم بها من قامت به. وهو بمعنى أن الحق سبحانه إذا رحم عبدا أوجد فيه الرحمة، أو جعل الرحمة تقوم به، بحيث يصبح قادرا على أن يرحم غيره من المخلوقات. وبذلك يصبح المرحوم راحما. فالحق لا يوجد الرحمة في المرحوم ليرحمه بها، بل ليكسبه الصفة الإلهية التي بها يرحم غيره. وهذا لا يكون إلاّ للكاملين من العارفين. ومع ذلك فالحق هو الراحم على الإطلاق، أي هو مصدر كل رحمة، ولا تكون له هذه الصفة إلاّ على معنى أن رحمته عين ذاته" (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018a).

ويرى أن الرحمة مفهوم مفتاحي لفهم المنطق الداخلي للقرآن، إذ تشكل شبكة نسيج دلالي تتسع لتغطي كل ما ورد فيه. إنها تكثيف دلالي لمعنى يهيمن على كل معاني السور والآيات في الكتاب(Abd al-Jabbār al-Rifai, 2019). مضيفا إلى أن الرحمة الإلهية في تفكيره هي المحور الذي تدوُر حوله كل دلالات القرآن، وهي عبارة عن المنطق الكلي الذي يسري في آياته، وكُل دلالة يتبادر منها أنها تنفيها أو تتعارض معها تعبر عن موقف زمني خاص بعصر النزول، فرضته ضرورات ظرفية لمجتمع البعثة. وإلا فكيف ينفي الكتاب منطقه الكلي، إن كانت الآية والسورة فيه مفرغة من رحمة الله.

وبما يخلص إلى أن المعنى السابق يعجّ بمضمون عرفاني لا تطيقه المعرفة العلمية، وهو أقرب إلى اللغة الشاعرية الحالمة منه إلى التأسيس الإبستمولوجي لكلام جديد، محرر من كل الأزمات التي يولد الحقد، وتنشرها ثقافة الإكراه والكراهية. ولكن الإحالة لجماع ما كتبه الرفاعي تؤكد أن استعادة الدفء المعنوي للدين، وعنايته بالإنسان، وتغليبه لقيم التسامح والأخوة هو من مقاصد مشروعه، ومن مطالب لاهوت النزعة الإنسانية في الدين. لذا، عنون واحد من أهم كتبه *بـإنقاذ النزعة الإنسانية في الدين*؛ بمعنى البحث عن القيم التي تؤسس لحياة الكرامة والآدمية، حفاظا على جسده وحاجاته، والنفس في أمانها وسويدائها المعنوي الغني المفعم بطاقة الحب الناجعة الفعالة، من غير أن تخشى على خياراتها وقناعاتها من ناعق الموت، المتربص في لاهوت الإلغاء والفرقة الناجية، مستعيذا بذلك لوازع الدين المتسامح الخالق لفضاء السلام، وحيث لا سلام بين وفيها، لا يمكن أن يكون هناك بين المجتمعات سلام.

وبذلك، يسعى الرفاعي لطرح فكري عميق حفريا إلى استلهام الميراث الروحي المعنوي الأخلاقي العميق، واستدعاء التجارب الروحية التطهيرية التنزيهية السامية في التاريخ، وبناء إلهيات عقلانية مستنيرة تحررنا من التفسيرات

التعسفية القمعية للنصوص. وتحديث الإلهيات يتطلب الخروج من السياقات الكلاسيكية للتفكير الديني، وعدم التوّقف عن طرح تساؤلات بديلة، والتوّكؤ على منهجيات ومفاهيم مستوحاة من المكاسب الجديدة لفلسفة الدين وعلوم التأويل وفتوحات المعارف البشرية، ما يفضي إلى التحرر من الصورة النمطية للإله التي تشكلت في سياق الصراعات الدامية، والفتن والحروب العديدة بين الفرق والمذاهب، والسعي إلى ترسيخ صورة رحمانية للإله تستلهم ما يتحّلى به من صفاته الجمالية، وأسمائه الحسنى، ورحمته التي وسعت كل شيء (Abd al-Jabbār al-Rifai, 2018b).

فالرفاعي في مشروعه إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين يحاول دحض كل المحاولات التي تريد تجريد الدين من النزعة الإنسانية أو فصل الإنسانيات من الإيمان والجانب الروحي، حيث يكد على ضرورة الجمع بين الشق الروحي والعقلاني , فلا ملاذ للإنسان إلى بالإيمان ولا ملاذ للإيمان إلى بتحقيق صلة وعلاقة محبة بين الله والإنسان، لإنقاذ الذات البشرية من التوحش ونزعات الإلحاد والتعصب والدوغمائيات وزيف التدين عبر تراكمات التاريخ. فمشروع التجديدي الرفاعي الذي اقامه على ضرورة تفعيل الية الحفر الفكري التاريخي اذ يستفيد في عمليته الحفرية من كل المخزونات الفكر البشري سواء الفكرية أو الدينية أو غير دينية أو نسقية أو علمية أو جغرافية؛ فكلها تدخل في طابع التاريخ والنتاج المعرفي ويتطلب الحفر في كل مكونات التاريخ والموروث لينسجم مع المنظومة الفكرية للأمة سواء عقائديا أو ثقافيا أو حتى إجتماعيا للخروج من الفكر المغلق الى فكر اكثر تحرر واكثر وجودية في فضاء يتناسب مع التركيب المتعدد والاختلافات المغايرة التي يحملها الانسان كـ هم معرفي أنطولوجي يبحث عن بلورة مكانته الوظيفية دون ازدواجية المفاهيم التقليدية المتمركزة حول الاله، فالفكر الديني هو صورة للنتاج المعرفي في كل الحقول المعرفية سياسية ودينية وفكرية بذلك يكون فضاء موضوعي للبحث في الدور الوظيفي والمجتمعي لفكرة الانسية والجمع بين الروحي الايماني والعقلاني المعرفي داخل مشروع فلسفة الدين لرسم خارطة جديدة تعالج وتهتم بقضايا المسلم المعاصر فكريا وانطولوجيا وروحيا .

الخاتمة

من منطلقات مشروع الرفاعي الذي يحمل التفكير في التجديد الديني بشقيه الروحي المتعلق بالنص والعقلاني المتعلق بالمنهج والعلم اي الدور الوظيفي المرتبط بالواقع الانساني،فحسب تفكير الرفاعي أن الحياة هي ترابط بين الإيمان والأخلاق والإنسانية، فالحياة اللاأخلاقية واللاإنسانية نتاج للاغتراب والعدمية التي يشعر بها الإنسان اتجاه العالم وتعتبر احتجاج باطني يصور فهم ونظرة الكائن البشري للعلوم الحديثة والمعارف والتجارب الدينية. يؤكد الرفاعي على فكرة التعايش الايمانية.

ويعد التفكير العقلاني بمكانة البعد العقيدي في الحياة الإنسانية من حيث مسار المعرفي الديني الذي يشمله كل من مجال القيم والأخلاق المتعلقة بالواقع، فالأخلاق هو موضوع الكلام الجديد في مبحث الإنسانيات، وفي سوسيولوجيا الدين وعلم النفس الدين، وقد ركز الرفاعي على أنّ الدين يبحث في ما هو إنساني أيضا، فالقيم بحسب الكلام الجديد أو بعملية التجديد لا تفصل بين الديني والدنيوي وإنّما تشمل الديني بالدنيوي وتطرح عملية فم الديني من أجل الدنيوي أي يكون الدين إنساني، فينتقل بذلك من العلوي إلى السفلي من المتعالي إلى الواقعي ويكون إنسان مبحثا هاما فيه.

فعلم الكلام الجديد عند الرفاعي ليس علماً يهتم بإثبات تعاليم المعتقدات الدينية وإبطال الآراء المعارضة، وإنما يهتم بتبيين الإيمان الذي ظهر مع نبي الإسلام. ويسعى علم الكلام الجديد إلى التعبير الجمالي عن الدين، وإبراز القيم الإنسانية منه، لأنه ضرورة يفرضها إحياء رسالة الدين في عصر يتفشى قبح التعبير الكراهي للدين. وطرح الرفاعي إلى ما سماه بالإنسانية الإيمانية وهي الإيمان المحرر والذي هو نمط حضور الإله في قلب الإنسان وضميره وحياته، وهذا يفضي إلى معنى أن الدفاع عن الله في الإنسانية الإيمانية يبدأ بالدفاع عن كرامة الإنسان وصيانة حقوقه وحماية حرياته. أمّا العلاقة بين الإنسان بربه في الخطاب الكلامي الكلاسيكي قامت على أساس الخوف ونفسية العبيد، وهذه العلاقة عند الرفاعي تؤدي إلى ما سماه بلاهوت الاسترقاق، وهو يسعى إلى تبنى العلاقة الجديدة القائمة على مفهوم يكون فيها موقف الإنسان متفاعلا إيجابيا، ذلك أن جوهر الصلة بين الإنسان والله من منظور هذه الرؤية هو الحب المتبادَل

REFERENSI

’Arabi, M. I. (n.d.). *Fushūsh al-Hikam* (A. al-’Ala ’Afif (ed.); 2nd ed.). Intisharāt al-Zahrā’.

Abd al-Jabbār al-Rifai. (2013). *Inqadz al-Naz’ah al-Insāniyyah fi al-Dīn* (2nd ed.). Dār al-Tanwīr.

Abd al-Jabbār al-Rifai. (2016). *’Ilm al-Kalām al-Jadīd Madkhal li Dirāsat al-Lāhūt al-Jadīd wa Jadl al-’Ilm wa al-Dīn*. Markaz Dirasāt Falsafat al-Dīn and Dār al-Tanwīr lit Tibā’ah wa al-Nasyr.

Abd al-Jabbār al-Rifai. (2017a). *al-Īman Malādz Salām al-Adyān*. Www.Taadudiya.Com.

Abd al-Jabbār al-Rifai. (2017b). *Insāniyyah Imāniyyah*. Www.Taadudiya.Com.

Abd al-Jabbār al-Rifai. (2018a). *al-Dīn wa al-Dloma’ al-Untūlūji* (3rd ed.). Markaz Dirasāt Falsafat al-Dīn and Dār al-Tanwīr lit Tibā’ah wa al-Nasyr.

Abd al-Jabbār al-Rifai. (2018b). *al-Dīn wa al-Naz’ah al-Insāniyyah* (3rd ed.).

Markaz Dirasāt Falsafat al-Dīn and Dār al-Tanwīr lit Tibā'ah wa al-Nasyr.

Abd al-Jabbār al-Rifai. (2019). *al-Dīn wa al-Ightirāb al-Mitafisiqi* (3rd ed.). Markaz Dirasāt Falsafat al-Dīn and Dār al-Tanwīr lit Tibā'ah wa al-Nasyr.

Abd al-Jabbār al-Rifai. (2021). *al-Dīn wa al-Karāmah al-Insāniyyah* (1st ed.). Dār al-Tanwīr.

Al-Bayhaqi, A. B. A. al-H. (2003). *al-Sunan al-Kubrā* (M. A. al-Q. 'Atha (ed.); 3rd ed.). Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Dawai, A. al-R. (1992). *Maut al-Insān fi al-Khitāb al-Falsafi al-Mu'āshir: Heidegger, Levi-Strauss, Michel Foucault*. Dār al-Thalī'ah.

Al-Ghazali, A. H. M. (2016). *Ihyā 'Ulum al-Dīn* (4th ed.). Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Kahil, M. (2011). *al-Ansanah wa al-Ta'wīl fi Fikr Mohamed Arkoun* (1st ed.). Manshurāt al-Ikhtilāf Dār al-Amān.

Al-Lāhiji, A. al-R. (n.d.). *Shawāriq al-Ilhām fi Sharhi Tajrīd al-Kalām* (Akbar Asad Ali Zādah (ed.)). Mua'assasat al-Imām al-Shādiq.

Al-Milad, Z. (2013). *al-Islām wa al-Naz'ah al-Insāniyyah*. Muassasah al-Intisyār al-'Arabi.

Al-Najjār, A. al-M. (n.d.). Wāqi'iat al-Manhaj al-Kalāmi wa Dauruhā fi Muwājahat al-Tahadiyāt al-Falsafiyyah al-Mu'āshirah. *Nahw Falsafat Islāmiyyah Mu'āshirah*.

Al-Qusyairi, 'Abd al-Karīm Al-Qāsim, A. (n.d.). *al-Risālah al-Qusyairiyyah* (A. al-H. Mahmud (ed.)). Dār al-Sya'b.

Anwar Mughith, Hassanein Kishk, Ali Mabrouk, M. T. (n.d.). al-Naz'ah al-Insāniyyah: Dirāsāt fī al-Naz'ah al-Insāniyyah fī al-Fikr al-Arabi al-Wasīth. In A. Ahmed (Ed.), *Silsilah Dirāsat Huqūq al-Insān* (2nd ed.). Markaz al-Qāhira li Dirāsat Huqūq al-Insān.

Arkoun, M. (1997). *Naz'ah al-Ansanah fi al-Fikr al-'Arabi: Jayl Miskawayh wa al-Tauwhidi*. Dār al-Sāfi.

Arkoun, M. (2001). *Ma'ārik min Ajl al-Ansanah fi al-Siyāqāt al-Islāmiyyah* (H. Saleh (ed.); 1st ed.). Dār al-Sāqi.

Dowak, H. O. (n.d.). *al-Insān al-Musta'ād fi 'Ilm al-Kalām al-Jadīd: Qira'ah fi Lāhūt al-Naz'ah al-Insāniyyah lil Mufakkir al-'Irāki 'Abd al-Jabr al-Rifā'i*. Momin bilā Hudūd.

Harb, A. (2004). *Hadīts al-Nihāyāt Futūhāt al-'Aulamah wa Māzaq al-Huwiyyah* (2nd ed.). al-Markaz al-Tsaqāfi al-Arabi.

Jait, H. (2000). *Azmat al-Tsaqāfah al-Islāmiyyah* (1st ed.). Dār al-Thalī'ah.

Khaldun, A. al-R. I. (1989). *al-Muqaddimah*. Manshurāt Mu'assasat al-A'lami li al-Mathbū'at.

Mahdi, A. S. (n.d.). al-Naza'ah al-Insāniyyah fi al-Fikr al-Siyāsi al-Gharbi al-Mu'āshir. *Al-Majallah Al-Siyāsiyyah Al-Dawliyyah*.

Melikyan, M. (2002). Mā Ba'da 'Ilm al-Kalām al-Jadīd. In *'Ilm al-Kalām al-Jadīd li Dirāsat al-Lahūt al-Jadīd wa Jadl al-Dīn wa al-'Ilm* (1st ed.). Dār al-Hādi.

Melikyan, M. (2010). *al-'Aqlāniyyah wa al-Ma'nawiyyah: Muqārabat fi Falsafat al-Dīn* (A. al-J. Al-Rifa'i (ed.); 1st ed.). Markaz Dirasāt Falsafat al-Dīn and Dār al-Tanwīr lit Tibā'ah wa al-Nasyr.

Nashar, M. El. (2017). *Falsafah Hasan Hanafi: Muqārabah Tahlīliyyah Naqdiyyah* (1st ed.). Niyūbūk li al-Nasyr wa al-Tawzi.

Qaramliky, A. (2002). *al-Handasah al-Ma'rifiyyah li al-Kalām al-Jadīd Silsilat Qadhāyā Islāmiyyah Mu'āshirah* (1st ed.). Dār al-Hādi li al-Thibā'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi.

Wahba, M. (2010). al-Falsafah al-Mu'āshirah. In *al-Mu'jam al-Falsafi*. Dār Qubā' al-Hadītsah.